

الأمثلة

(1) قال إدريس الجاي:

عُودِي إِلَيَّ حَوَاطِرَ الذِّكْرَى ** كَالعِطْرِ بَيْنَ السُّوسَنِ الدَّائِلِ
كَاللِّمْحَةِ المَشْدُوهِةِ الحَيْرَى ** مِنْ جَفْنِ مَحْمُومِ الرُّؤَى الذَّاهِلِ
كَالمُقْلَةِ المَحْزُونَةِ السَّكْرَى ** بَعْدَ الحَبِيبِ العَادِرِ الرَّاحِلِ

(2) قال سليمان العيسى:

كَالبحرِ نَحْنُ، وَصَدِيقِي — ** نِي، أَنَا أَبْقَى تَبَاتًا
مَاذَا؟ إِذَا مِثْنًا، إِذَا ** مَا الجَيْلُ والجِيلَانِ مَا تَا
مَنْ قَال: إِنَّ الأَرْضَ أَر ** ضُ المَجْدِ لَا تُشَقَى رُفَاتَا
مَنْ قَلْبِ هَذَا الجَذْبِ، ه — ** ذَا المَوْتِ أَنْتَظِرُ الحَيَاةَ

ملاحظة الأمثلة

المثال الأول

الأبيات الثلاثة تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر تبدأ بالالتماس عبر فعل الأمر (عودي)، التماس يبين عمق الغربة والحنين التي يعيشها الشاعر، مما جعله يلتمس الذكرى كالعطر، كاللمحة، كالمقلة، لنفسه الذابلة، الحيرى، السكرى. فشبّه حواطر الذكرى وهي حالة معنوية بمتعدد حسي العطر بين السوسن واللمحة المشدوهة والمقلة المحزونة. فالصورة هنا جاءت كلية لكون عناصر التشبيه معنوية لا تدرك مباشرة، ووظيفتها نفسية تعبر عن نفسية الشاعر.

المثال الثاني

هذه الأبيات الأربعة المشبه نحن وهو حسي والمشبه به البحر وهو أيضا حسي يشخص وجه الشبه الثبات والقوة، ولترسيخ الفكرة توصل الشاعر بالاستفهام والتوكيد ليبين أن الموت يغذي الأرض ليبعث منها الإنسان أكثر قوة وعزيمة عن ذي قبل. فالصورة الشعرية لها وظيفة تأثيرية تجعل المتلقي يقتنع بموقف الشاعر، ويتفاعل مع أفكاره.

خلاصة عامة

الصورة الشعرية تؤدي وظيفتين أساسيتين:

وظيفة نفسية

ومن خلالها يسعى الشاعر إلى التعبير عن عواطفه وأحاسيسه، وتتميز بالخصائص التالية:

- التدرج في التعبير عن نفسية الشاعر بدأ من نفسيته والغرض الذي يرمي إليه من ورائها.
- التركيز على مشاعر الشاعر الداخلية، وتجربته الوجدانية.
- هيمنة البعد النفسي على تشكيل الصورة فكريا وفنيا جماليا.

وظيفة تأثيرية

وتسعى إلى إشراك المتلقي وإقناعه بمواقف الشاعر وأفكاره، ومن مميزات ك:

- تجسيد المجردات وتشخيص المعاني حتى يتأثر المتلقي مباشرة مع الصورة.
- إقناع المتلقي بالفكرة أو المعنى المراد من الصورة.
- إثارة الاستجابة الفنية في المتلقي بتحريك مخيلته وما يختزنه من أفكار ودلالات.
- تحقيق التناسب الوجداني بين حالة الشاعر والصورة الشعرية.

وتستمد الصورة الشعرية وظيفتها التأثيرية من ثلاث أسس:

- تجارب الشاعر الشخصية وتأملاته في الحياة.
- استثمار تجارب الآخرين والتواصل الوجداني معها.
- مهارات الشاعر الإبداعية القادرة على احتواء المتلقي والتأثير فيه.

الأمثلة

قال الشاعر عمر أبو ريشة:

مَأْتَمُ الشَّمْسِ ضَجَّ فِي كَبِدِ الأُفِّ ** قِ وَأَهْوَى بِطَعْنَةِ نَجْمٍ لَإِ
فَأَظَلَّتْ مِنْ خَدْرِهَا عَادَةَ اللَّيْلِ ** لَ وَتَاهَتْ فِي مَيْسَةِ الخَيْلَاءِ

ملاحظة الأمثلة

الصورة هنا تعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، نفسية محزونة يغيب فيها النهار بطريقة مأساوية ويزحف الليل متبخترا.

فالصورة هنا جاءت كلية تجمع بين ما هو محسوس: غروب الشمس و قدوم الليل، وما هو معنوي: حالة الحزن والموت (مأتم وطعنة).

وقد لعب خيال الشاعر دورا كبيرا في العملية التخيلية التي حولت ظاهرة فيزيائية طبيعية إلى حالة إنسانية مأساوية تهزم فيها الشمس بطعنة قاتلة أمام جبروت الليل وخيلائه.

فالصورة تجاوزت المعنى المباشر للألفاظ "مأتم، الشمس، كبد، عادة، الليل" إلى معنى دلالي مجازي تحكم في تركيبه خيال الشاعر.

فالشاعر تجاوز الوصف المباشر لصورة الغروب إلى وصف ذاتي يكشف عن رؤيته الخاصة للظاهرة الطبيعية، مما يتطلب من المتلقي التخيل ليعيش تجربة الشاعر ويفهم مغزاها، فالغروب مأتم والشمس قتيلة والليل عادة.

خلاصة عامة

إضافة إلى الوظيفة النفسية أو الوظيفية التأثيرية التي تؤديها الصورة الشعرية هناك أيضا الوظيفة التخيلية التي تعتمد على قدرات الشاعر التخيلية في الاستحضار والتركيب بين عناصر طبيعية وأخرى إنسانية.

مفهوم الوظيفة التخيلية

الصورة الشعرية في وظيفتها التخيلية تكون مشتركة بين الشاعر المبدع الذي حول اللغة إلى تعبير مجازي، والمتلقي الذي يقوم بعملية تأويل اللغة لفهم مغزاها وأبعادها الدلالية.

وتعتمد الصورة الشعرية في وظيفتها التخيلية على نوعين من الخيال:

- خيال استرجاعي: يعتمد على ذاكرة الشاعر في استرجاع صور متراكمة في ذهنه.
- خيال توليدي: ويكون من إبداع الشاعر، ينجز صورا غير مسبوقه تتجاوز المؤلف من الصور.

أهمية الوظيفة التخيلية

■ الصورة الشعرية تحول مظاهر العالم الخارجي إلى تجارب إنسانية تتداخل فيها ذات الشاعر بعناصر الطبيعة.

■ الصورة الشعرية تتجاوز الأبعاد المادية إلى ما تمثله من أبعاد روحية تعكس أحاسيس الشاعر ويتفاعل معها المتلقي

■ الصورة الشعرية تتجاوز حدود المعنى المباشر إلى ما تولده من معاني خاصة برؤية الشاعر.